من تراب الطريق!

(١٨٥) حدود الاحتمال ! (*)

القدرة على تحمل المكاره لها فى جميع الأحوال حدود .. حتى الصبر، رأينا أم كلثوم تتغنى من نظم الشاعر : " للصبر حدود " .. فإلى أى حد يتحمل العاقل الصبور خسائر النفس أو خسائر المال ؟

يتحمل العاقل خسائر النفس ومن فى حكمها إذا كانت قضاءً وقدرًا ولم يكن لديه فرصة لتفاديها بمعونة المال أو ما فى حكمه كالجاه والسلطة . ولا يتحملها إذا كانت تجعل بقاءه غير ممكن أوغير محتمل !

أما الخسائر التى تقع على الغير خلاف النفس ومن فى حكمها، فهى قابلة للتحمل ولو كان فى الإمكان تفاديها ببذل مال يؤثر الشخص الاحتفاظ به فى حسابه للنفع والخسارة !

على أنه لا توجد صعوبة عادة إذا كان المسئول يتولى زعامة أو رياسة أو قيادة تعطيه على نحو ما سلطة التصرف فى حياة أو سلامة تابعيه .. فى زمن السلم أو فى زمن الحرب . واستعمال هذه السلطة رهن بمعقوليته فى ظروف استعماله .

بيد أن التقدير الشخصى لاستعمال السلطة يكون فسيحا جدًا لدى صاحب السلطة المطلقة .. وكثيرًا ما يؤدى إلى نتائج شديدة التباين . رأينا الإمبراطور اليابانى هيروهيتو يتحمل الخسائر الهائلة العسكرية والبحرية والجوية والاقتصادية والمدنية التى تكبدتها بلاده فى الحرب العالمية

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/٣١

الثانية، لكنه لم يتحمل الخسائر التى نزلت بهيروشيما ونجازاكى من القنابل الذرية التى أسقطتها الولايات المتحدة الأمريكية، وتصور إمكان تكرارها مع العجز عن منعها أو الرد عليها فكف عن الحرب لأنه رأى الاستمرار فيها جالبا - بلا جدوى - للفناء الشامل !

وتحمل هتلر بإصرار وعناد تراجع وتدمير جيوشه واحتلال بلاده بعد تدميرها وتعطيل مرافقها ومواردها وتشريد أهلها، إلى أن بات لا يجد من يطيعه ويموت من أجله فقتل نفسه وعشيقته !

هذان مثلان حديثان فريدان لاستعمال السلطة العليا سلطاتها فى التصرف فى حياة الناس، وكيف أمكن أن تتوقف هذه السلطة العليا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وكيف استرسلت فى عنادها حتى بعد أن فقدت كل شىء ففقدت نفسها !

أما خسارة المال، فلاحتمالها عند العاقل حد يتوقف عنده عن الاسترسال فى المسعى الخاسر .. وهو حد لا صعوبة فى الاهتداء إليه بفضل الخبرة والامتثال للحس المشترك . بيد أنه لا حد لاحتمال خسارة المال لدى المصاب بداء المقامرة .. تراه لا يكف عن الخسارة أملاً فى التعويض والربح .. بل يسعى للاقتراض حتى لا يكف عن المقامرة رغم خسارته لكل ماله ورغم ضياع ائتمانه فى محيطه وانقطاع حيله فى الحصول على المال من الغير !

أما الخسارة فى المال العام، فتتميز بأن المال العام لا يتحمل خسارته مالكه ذاته، فهو شخصية اعتبارية معنوية، وإنما يتحملها القائمون عليه إن كانت هناك مسئولية بالعمد أو بالإهمال .. فإن انتفت المسئولية الجنائية، فإن الخسارة لا تمس رواتب هؤلاء أو مقرراتهم .. وغالبًا ما يموت هذا المال العام الضائع وتموت المطالبة به بمرور الزمن وإدماجه ضمن حساب من الحسابات العامة كعجز يظهر فى الحساب الختامى لتطوى صفحة المال العام الضائع، استعوض أم لم يستعوض .. فلا تزال

الميزانيات تكبر وتتضخم وتتوارى فيها الخسائر إن لم تصبها خسائر جديدة دون أن يتوقف هذا النزيف ما دام القائمون على أموره لا تصيبهم الخسارة فى أنفسهم أو مالهم أو رواتبهم وأجورهم ومكافآتهم وبدلاتهم .. من أجل ذلك غلظت القوانين عقوباتها على اختلاس الأموال العامة أو الاستيلاء عليها أو الإضرار بها وإهدارها، فإن قصرت السلطات فى ملاحقة التعدى والمتعدين عليه، صار نهبًا مباحًا لكل ناهش يبتلع منه ما يشاء متى شاء !!